العـــدد A8 لسنة 2023
No. 8A – March 2023
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - - Electronic ISSN 2790-1254

قراءة في كتاب مدخل إلى الأدب العجائبي لـ (تودوروف)

أ د محسن تركي الزبيدي
كلية الآداب، جامعة القادسية
م د خلود عباس حسين
كلية الهندسة، جامعة القادسية

الخلاصة

تحـاول هـذه القراءة النقديـة مقاربة واحد من الكتب الفلسفية / النقدية المهمة ، وهو كتاب (مدخل إلى الأدب العجائبي) ويحاول فيه الكاتب (تودوروف) تجنيس العجائبي وتنميطه ،عبر تفكيك نظامه السري ، واستجلاء نسقه الحكائي ، مستندا في تنظيره إلى التحليل البنوي والوصفي لعدد كبير من الروايات الغربية فضلا عن الحكايات العربية في ألف ليلة و ليلة . وهو أمر بقي عصيا على النقد ، بعيدا عن التنظير زمنا طويلا ، على الرغم من رسوخ قدمه في الأدب الانساني عامة ، و الأدب الغربي بشكل خاص . وقد كشفت الدراسة أن الكتاب – على أهميته الفلسفية و النقدية - لا يخلو من الغموض و الارباك والضعف الذي أرجعه الباحث إلى جنبتين : الأولى – الترجمة غير الناضجة التي أوهنت مفاصل كثيرة فيه ، وأسهمت بشكل لافت في إرباك القارئ العربي ، وقادته إلى الفهم الخاطئ الذي بنى عليه مبان فاسدة في الدلالة و الاستنتاج . والثانية – المؤلف نفسه الذي سلك مسلكا وعرا ، يشوبه الغموض و التناقض وهو يحاول تقعيد مصطلح الفانتاستك وإرساء أسسه النقدية وتقنياته الابداعية ، إذ أن الكتاب ولد أسئلة صادمة ليس في دلالة المقولة النقدية فحسب بل انسحب إلى الممارسة الأدبية وجدوى انتاجها .ولا يحاول هذا البحث تفكيك المرجعيات البانية لنظرية تودوروف العجائبية ونقدها فحسب ، كما لا يكتفي برد عدد من المباني النقدية فقط ؛ بل يحاول أن يستعرض النقد العربي للأدب الخوارقي ، لينتقد الفهم الخاطئ للنظرية ويصوبه .ولأن البحث مقدم للقارئ العربي فإن الباحث حرص على تقديم الروايات العربية عامة و العراقية بشكل خاص حين يقتضي الأمر توضيح ما استغلق على الفهم ، أو تقريب الفكرة للقارئ العربي ، مستندا في كل ذلك إلى المصطلحات القارة ، و ما ألفناه في النتاج العربي و الغربي .

الكلمات الافتتاحية: الأدب العجائبي ، الفانتاستك، للكتاب المنشود ، نقد النقد.

A reading of the book Introduction to the Literature of Wonders by (Todorov)

Prof. Dr. Mohsen Turki Al-Zubaidi
College of Arts, Al-Qadisiyah University
Dr. Kholood Abbas Hussein
College of Engineering, Al-Qadisiyah University

Abstract:

This critical reading attempts to approach one of the important philosophical/critical books, which is the book (Introduction to Miraculous Literature) in which the writer (Todorov) tries to naturalize the miraculous and stereotype it, by dismantling its secret system, and clarifying its narrative pattern, basing his theorizing on the structural and descriptive analysis of a large number of Western novels as well as Arab tales in the Thousand and One Nights. This matter remained defying criticism, far from theorizing for a long time, despite its well-established foothold in human literature in general, and Western literature in particular. The study revealed that the book - despite its philosophical and critical

importance - is not devoid of ambiguity, confusion and weakness, which the researcher attributed to two aspects: the first - the immature translation, which weakened many joints in it, and contributed remarkably to the confusion of the Arab reader, and led him to the wrong understanding that he built It has corrupt buildings in the indication and conclusion. The second - the author himself, who took a bumpy path, tainted by ambiguity and contradiction, as he tries to limit the term fantastic and establish its critical foundations and creative techniques, as the book generated shocking questions not only in the significance of the critical statement, but withdrew to literary practice and the feasibility of its production. This research does not attempt to dismantle the references The builder of Todorov's miraculous theory and its criticism only, and it is not satisfied with responding only to a number of critical buildings; Rather, he tries to review the Arab criticism of paranormal literature, to criticize and correct the misunderstanding of the theory. Because the research is presented to the Arab reader, the researcher is keen to present the Arab novels in general and the Iraqi novels in particular when it is necessary to clarify what is difficult to understand, or to bring the idea closer to the Arab reader, based on each That is to the continent terminology, and what we have learned in the Arab and Western products.

Keywords: miraculous literature, fantasy, the desired book, criticism of criticism.

المقدمة

يعد كتاب (مدخل إلى الأدب العجائبي) واحدا من أهم الكتب المنظوية تحت مندوحة التنظير الأدبي ، وافاق النقد الأكاديمي ، وقد أنصفه المؤرخون حين ثبتوا اسبقيته في استجلاء مناخات السرد الروائي الخوارقي الذي بقي عصيا على التجنيس و التنميط ردحا من الزمن على الرغم من رسوخ قدمه في التراث الانساني وحضوره الطاغي في الحياة إلا أنه كان ولا زال يمارس لعبة الانتماء و اللا انتماء إلى أجناس كثيرة داخل منظومة السرد القصصي .

وترجم (الصديق بو علام) هذا الكتاب إلى العربية من الفرنسية في 1993 ، فأثار أسئلة صادمة بين النقاد انحصرت في مفهوم مصطلح (الفانتازيا) ، وجدوى ممارستها في المنظور الأدبي شعرا ونثرا ، ثم أدار البوصلة إلى النتاج الأدبي ، فنهد عدد كبير من الروائيين بشكل خاص و السرديين بشكل عام إلى استثمار رؤية جديدة ، تقدم تواصلا مغايرا للنظام السردي القار ، المبني على اساس السببية المعقلنة بالضمون الاجتماعي ، وتخلق تصورا قلقا للعلاقة بين الواقع و اللاواقع ، وتجبر المتلقي على خلق عوالم موازية لعالم الخارق المستعصي على مقاربة المعقول مما يوسع من دائرة المساحة الجمالية للأدب المروي و المرئي .

ويتصل تأليف كتاب (مدخل إلى الأدب العجائبي) بكتاب (الشعرية) ؛ إذ يحاول تودوروف في هذا الكتاب إرساء أسس مصطلح (الفانتاستك) ، وتثبيت قواعد لمفهوم العجائبي ، وجنس العجائبية ، الذي آن له أن يفصل من مفهوم الغرائبي وعالم الغرائبية . بيد أن الكتاب وهو ينتدب نفسه لهذه المهمة العويصة أدخل القارئ في متاهات تنظيرية كثيرة ، وتقسيمات بيانية لم تستكشف المجهول ؛ بل زادت من ارباك الكتاب الذي يشكو في كثير من مفاصله من الغموض و التناقض و الارتباك ، الأمر الذي دفع الكثير من الباحثين إلى معارضته أو الاختلاف معه .

وقد وجدت عند تدريسي لهذا المصطلح في الدراسات العليا ، واشرافي على عدد من الراسائل الجامعية التي تدرس هذا الموضوع (الفانتاستك) ارباكا – عند الطلبة و الباحثين - انحصر في فهم المصطلح وتقسيماته ، فانسحب على طبيعة المقاربة للنصوص السردية و الروائية ، وتحليلهم للموضوعات العجائبية / الغرائبية ؛

لذا عزمت بعد التوكل على الله على قراءة هذا الكتاب المكثف قراءة نقدية محاولا فيها فك الاشتباك الحاصل في متونه المتداخلة ، واستجلاء رأي (تودوروف) المبثوث في فصوله ومباحثه ، ومحاولة التقرب من مشروعه النقدي / الفلسفي الذي قدم له سنوات عمره البحثية جميعها .

المدخل إلى المدخل

من أجل الولوج في متون كتاب (المدخل إلى الأدب العجائبي) لا بد لنا من التعريف بكاتب هذا الكتاب الرائد (تزفيتان تودوروف) ومترجم النسخة من الفرنسية (الصديق بو علام) ؛ لما لهذين الكاتبين من أهمية في فهم التحولات النسقية في الموضوع الواحد ، فضلا عن تسليط الضوء على الغموض المقلق الناتج من التناقض الواضح في بعض مفاصل الكتاب ، وتقديم رأي (تودوروف) للقارئ المختص بشكل واضح لا لبس فيه .

تودوروف

هو (تزفيتان تودوروف) فيلسوف وناقد بلغاري الجنسية ، ولد في مدينة (صوفيا) ، عاش معظم حياته في فرنسا ، وركزت فلسفته على نظرية الأدب و تاريخ الفكر و الثقافة . حاز على شهادة الدكتوراة من فرنسا في اطروحته (الأدب و الدلالة) وكان مشرفه على هذه الاطروحة الفيلسوف الكبير (رولان بارت) ،الذي دفعته لذة الاكتشاف والتحليل إلى التنقل بين المناهج والنظريات ، فلم يعرف عنه تبنيه لنظرية جمالية واحدة ، ولم يخلص طوال حياته البحثية لمنهج واحد . وهذا ما يفسر تحول تودوروف في هذا الكتاب من منهج إلى آخر من دون تحفظ أو إشارة ، على الرغم من تصريحه باتباع المنهج البنيوي في بداية الكتاب ، وهذا ما دفع (ريتشارد هاورد) المترجم الذي ترجم الكتاب إلى اللغة الانجليزية بتغيير عنوان الكتاب إلى (الانجليزية (the fantastic – astrcture approach to aliterary genre) للمترجم (Richard howard)) .

وعمل تودوروف استاذا زائرا في عدد من الجامعات الغربية مثل هارفرد و ييل و كليفورنيا و و كولمبيا و بيركلي . ونشر (21) كتابا تنوعت بين الأدب و النقد والفكر والثقافة ، ويعد كتابيه (الشعرية و مدخل إلى الأدب العجائبي) من أهم هذه الكتب و أشهرها على الأطلاق .

دعى في مؤلفاته الأخيرة إلى حوار الحضارات والتصالح مع الذات وقبول الآخر واحترام الشعوب وتجنب الانغلاق ورفض الهيمنة ، وحرص على الاهتمام بخصوصية المجتمعات الانسانية وأن فلكلور كل أمة يمثل حضارة سالفة و أخرى قادمة . وساقه هذا الايمان الحر إلى رفض الاستعمار و التدخل البربري في جغرافيا الشعوب الضعيفة سياسيا وعسكريا .

توفى في 2017 ولم تحظ وفاته بتغطية تليق بهذا الفيلسوف الكبير وربما يعود السبب إلى مواقفه الأخيرة من هيمنة المعسكر الغربي على الشعوب المستضعفة ورفضه احتكار الدول الكبرى للسوق العالمية وإلحاق الضرر بالدول الفقيرة .

الصديق بو علام

كاتب ومترجم مغربي كتب عددا من الكتب و المقالات الأدبية و النقدية ذات الأثر اللافت في المشهد الثقافي و النقدي المغربي بشكل خاص و العربي بشكل عام ، إلا أن ترجمـة كتـاب (المدخل إلى الأدب العجائبي) يعد هو الكتاب الأبرز في التأليف و الترجمة ، ويذكر الدكتور محمد برادة في تقديمه له ، أن الكتاب في الأصل (بمثابة البحث السنوي المطلوب من طلبة السنة الرابعة بشعبة اللغة العربية و آدابها) [1] في جامعة محمد الخامس في الرباط التي تخرج منها عام 1989 . وربما هي اشارة خفية من الناقد الكبير محمد برادة لدعم الكتاب و تشجيع المترجم فالكتاب هو الأول الذي خطته أنامل (بو علام) ترجمة و تعليقا ، وهو يكشف لنا سر التناقض الذي أشار له غير واحد من القراء و النقاد .

ونحن لا نريد أن نقلل من شأن هذا الكتاب المهم الذي قدمه الصديق بو علام للقارئ العربي و المغربي ، وأسهم في رفد المكتبة العربية بواحد من أهم الكتب التي حركت الساحة الأدبية و النقدية ، ولكننا نريد أن نبين

اسباب التناقض التي اتهم بها الكتاب ، ونعلل الارباك الذي أشار إليه غير واحد من اصحاب الاختصاص ، فلعل مرد ذلك لا يعود إلى أصل الكتاب ومؤلفه و إنما إلى المترجم وطريقته، لاسيما وهي تعد الممارسة الأولى بعد تخرجه من الجامعة ، وفيها يقول استاذه محمد برادة (إنني أهنئ الاستاذ الصديق بو علام على هذه الترجمة الجادة المتحرية للدقة وسلامة الصياغة ، ولا أشك في أنه سيقدم عطاءات أخرى في هذا المجال رغم الظروف الصعبة التي يمر بها كمتخرج جامعي عاطل)[2]، و أشم من الكلمات الأخيرة في هذا الاقتباس المهم طعنا خفيا في الترجمة ، ويعضد ما أذهب إليه هو رأي المترجم و الناقد (عبد الرحمن بو علي) ، الذي يشير في مقدمته لترجمة كتاب تودوروف (نظرية الأجناس الأدبية – دراسات في التناص و الكتابة و النقد) فيقول : (ومن الضروري ونحن نتكلم عن هذه النصوص أن نشير ولو إشارة خفيفة إلى ما لحق كتابات تزفيتان تودوروف من سوء ترجمة . فأكيد أن هناك نصوصا كثيرة جدا قد ترجمة على عجل من قبل مترجمين لا علاقة لهم مع مجال الترجمة ولا مع اللغة الفرنسية أو علاقتهم ضعيفة على الأقل ، فكانت ترجماتهم رديئة و مشوهة وغامضة ، أدت – نتيجة ذلك – إلى وأد كل النجاح و البهاء اللذين اتصفت بهما هذه الكتابات) [3].

وعلى الرغم من كل الذي نقوله في الكتاب ، وما يقوله غيرنا كذلك من أن الكتاب يمثل المحاولة الاولى في الترجمة بيد أنه اختار كتابا يعد هو الأبرز في الثقافة الغربية والفكر الإنساني . ونهد نفسه لموضوع مخاتل يلبس نفسه دائما لونا سرديا مغايرا من دون التبرير في مسوغات مقبولة ، فاستحق الثناء و الاشادة على هذا الجهد المائز

المبحث الأول
تحديد المفهوم وتوحيد المصطلح

في البدء وقبل الولوج في ماهية النسق العجائبي في كتاب (مدخل إلى النص العجائبي) ينبغي لنا أن نشير إلى أن تودوروف حصر المصطلح (الفانتاستك) في السرد دون الشعر ، ثم اختار الرواية من السرد وأهمل الاجناس الأخرى ، على الرغم من أن الارهاصات الأولى للمصطلح بدأت من المسرح ، وأن النقد الغربي – اغريقي / يوناني – كان يريد بـ(الفانتاستك) كل ما هو خارق و مدهش ووهمي و ربما حتى الاسطوري ، وهو بذلك يصلح للحد الذي يرى فيه (كل ما له علاقة بالمخيلة)[4] . فنظر المشرع اليوناني للفانتاستك من كوة الخيال الذي يعد المصدر الرئيس للإبداع ، ثم أسس لثنائية الواقع والخيال ليضع العجائبي في ضميمة الثاني مبتعدا به عن كل ما هو واقعي و معقول .

وكنا نتمنى أن يضع تودوروف في حساباته المرئي المسرحي كما وضع في حساباته المقروء الروائي ؛ لأننا نجد في ترك الأول ألحق ضررا فادحا في دلالة المصطلح وثبوتيت هويته ، الأمر الذي قاد المصطلح إلى ترجرجه وعدم استقراره ، فاصبح عصيا على التقنين، ولا يبدي ممانعة للدخول في أجناس متعددة ، يساعده في اللعبة هذه انفتاح الرواية ومرونتها، وولعها بالتجريب ، وجنوحها إلى عقلنة الجنون ، وقبول اللا منطق عبر بنية معمارية تثير الفضول وتغري بالتصديق و المتابعة .

ومن نقطة ربط العجائبي بالرواية انطلق (تودوروف) بتعريفه للعجائبي فقال: هو (التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية ، فيما هو يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر . فالمفهوم يتحدد إذن بالنسبة إلى مفهومين آخرين هما الواقع و الخيال)[5] . ويقرأ هذا التعريف من جنبتين :

الأولى – اتفاق تودوروف مع النقد الاغريقي القديم في ربط العجائبي بالخيال ، وعدم تجاوزه لمن سبقه من نقاد عصر النهضة وما تلاها مثل (روجيه كايوا) و (آبتر) و (كليبتكس) وغيرهم .

الثاني – اجتراحه لمصطلح التردد ،الذي انفرد به لوحده ولم يذكره النقاد الغربيون في تعريفاتهم للعجائبي ، وقد عده تودوروف حدا وشرطا لقبول العجائبي وتجنيسه ، والتردد يشير إلى اختلاط الواقعي باللاواقعي ، والمنطق باللامنطق ، وكل ماهو عقلاني بالجنوني . إذن هو الحيرة بين أن أصدق فيستمر السرد أو أكذب فيتوقف الروي . بل أن الحيرة في كيفية حدوث الحدث والشك في التفصيلات الخارقة هي التي تحدد

العجائبي و نوعه . والحق أن الفكر العربي توصل إلى هذه النكتة قبل تودوروف ، ففي كتاب (عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات) لزكريا بن محمد القزويني نقرأ (العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشئ وعن معرفة كيفية تأثيره فيه)[6] ، بيد أنه توقف عند التوصيف ولم يتطرق إلى أثره في انتاج النص وتفسير الخطاب ، ولنقل أن هذا الاكتشاف تعامل معه الكاتب العربي معاملة سطحية فلم يندرج عنده ضمن خطته في استخلاص القوانين الكلية ، ولم يحاول أن ينقب في آليات بناء السرد فيه ، فلم يتجاوز هذا الحد من المعرفة .

التردد أو الحيرة Hesitation

والتردد هو السؤال الذهني الذي يسأله المتلقي الطبيعي في قبالة النص المروي : هل هو واقعي / طبيعي أم هو خيالي / شاذ ، هل ينطبق هذا السلوك وتلك الصورة على قوانين الطبيعة ونواميس التجربة الحياتية أم هو خارق للطبيعة وصادم للواقع ، ولصق لعوالم سحرية غير طبيعية في عالم أرضي طبيعي يخضع لقوانين بشرية .

ونفذ الفيلسوف من هذا التعريف للتمييز بين العجائبي و الغرائبي؛ إذ يسير النص حذرا في ممر ضيق بينهما ، فقال (التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية ، فيما يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر)[7] وهذا وصف للفانتاستك الجامع للغريب و العجيب ، ثم يقول : (فالعجائبي يحيا حياة ملؤها المخاطر وهو معرض للتلاشي في كل لحظة يظهر أنه ينهض بالأخرى في الحد بين نوعين هما العجيب والغريب ، أكثر مما هو جنس مستقل بذاته ، ويبدو أن واحدة من أعظم حقب الأدب فوق الطبيعي وهي حقبة الرواية السوداء تحمل إثبات ذلك بالفعل ، يميز عموما بين اتجاهين في داخل الرواية السوداء : اتجاه فوق الطبيعي المفسر ويمكن ان يقال إنه اتجاه الغريب و اتجاه فوق الطبيعي المقبول أو اتجاه العجيب، فهنا لا يوجد العجائبي بحصر المعنى إنما مجرد جنسين مجاورين له) [8]. وهنا لا يشرع تودوروف التردد بوصفه لازمة للجنس العجائبي الدائم، أو لازمة للحدث العجائبي الآني المتلاشي ؛ بل هو لازمة لتحديد العجائبي نفسه من عدمه، فالحدث الفانتاستيكي يتحدد بالنسبة إلى مفهومي العجائبي و الغرائبي ، وحساسية التردد تتمركز هنا فالحدث الخارق للطبيعة اذا ما فسر تفسيرا طبيعيا يتماشى مع القوانين التي يألفها الانسان الواقعي على الرغم من شذوذها يصنف في خانة الغرائبي، أما إذا لم يفسر تفسيرا طبيعيا واستعصى على المتلقي ربطه بالواقع المعيش ، واحتار المتلقي بين التصديق المنساب مع الخيال و التكذيب المنساب مع العلم ، عندئذ تميل كفة العجيب ويصنف الحدث عجائبيا .

العجيب والغريب

من أكثر المشاكل التي يعاني منها القارئ العربي لكتاب تودوروف المترجم هو دلالة العجائبي على الجنس العجائبي نفسه ، وعلى اللفظ الدال على الجمع بين الغريب والعجيب معا ، وكأن العجائبي يستعمل عند تودوروف فلسفة كلية تارة ، وتخصيص تأويلي تارة ثانية ، وهذا بطبيعة الحال غير ممكن . وكان الأولى بالمترجم أن يستعمل لفظ الفانتاستك الجامع للاثنين تحت مظلة واحدة ثم يقسمه على قسمين العجائبي و الغرابي . ولعدم وقوفنا على كتاب تودوروف المكتوب باللغة الفرنسية فإننا لا نستطيع أن نجزم هل هو خطأ تودوروف نفسه أم خطأ المترجم (الصديق بو علام) .

والمشكلة الثانية التي وقع بها الكتاب هي عدم كفاية الكاتب بتحديد العجيب و الغريب ، بل ذهب إلى تقسيمات كثيرة أربكت الكتاب ، لكثرتها وعدم وضوح بنيتها ، ووجدنا أن تودوروف لم يكن مهتما بتحديد هذه التقسيمات قدر اهمامه بإثبات جنس العجائبي ، الذي بدا عائما غائما بين هذه التقسيمات ، ومبتسرا في تحديد التعريفات .

والتقسيمات الفرعية المثبتة للفانتاستك هي :

(غريب محض عجائبي – غريب عجائبي – عجيب عجيب محض)[9]

و في هذا التقسيم ثلاث هنات : -

الأولى : إن التقسيم يهمل (الغرائبي – الغريب و الغرائبي - العجيب) من الجدول ، والحق أن تودوروف يشير إلى هذين التقسيمين في تحليله للروايات المارقة عن الواقع الطبيعي من دون أن يشير أو يستدرك على هذه التقسيمات .

و الثانية : هو غموض (الغريب و العجيب) عنده ، و لولا تحليله الرائع للروايات المدروسة أو المعروضة للتحليل لم نهتد إلى أن العجيب والغريب عنده يعني الهيئة والشكل ، وفي البنية السردية يستدل عليهما بوصف تلك الهيئة ، وكلاهما خاضعان لميزان التردد ، فمن قبل التفسير ، وصورته تتجاوز الناموس البشري فهو غريب ، أما الصورة التي تتجاوز المألوف وغير قابلة للتفسير والقبول المنطقي فهي عجيبة ([10]) . والعجائبي في قبالة هذا الحد هو البنية السردية المقترنة بالتخييل و الغرابة و الإثارة ، وهي حاضنة من جهة ثانية لهذه الهيئة الغريبة أو العجيبة في ضوء وظيفة السرد المعروفة . و عبر هذا التصور تكون شخصية (فرانكشتاين) شخصية عجيبة ، و المكان (تل حفيظ) في رواية (مستعمرة المياه) للروائي جاسم عاصي يعد مكانا عجيبا ، كما يمكن أن نعد الزمن في الروايات الصوفية العجائبية زمنا عجيبا . أما الغريب الذي ينجح التردد في فرزه فنستطيع أن نعد كل الشخصيات الساحرة و المسحورة في روايات وارد بدر السالم هي شخصيات غريبة ، كما يمكن أن نعد الصحراء في رباعية الخسوف لابراهيم الكوني مكانا غريبا ، بينما الزمان الغريب نجده في قصص الاسراء والمعراج . وهذه الهيئات العجيبة و الغريبة عندما تدخل في الفعل السردي داخل المنظومة القصصية هي التي تحول المقروء أو ألمرئي من النصوص إلى العجائبي و الغرائبي .

ولم يهتد عدد كبير من النقاد العرب إلى الوسيلة التي يفرقون بها بين العجيب و الغريب أو بين العجيب و العجائبي أو بين الغريب و الغرائبي ، ففي كتاب (العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد) نقرأ للناقد الجزائري حسين علام (إننا يجب أن نعترف بأن أمر تحديد المصطلح صعب ، وما يمكن قوله من الوجهة الدينية هو ما سبق ، لكننا نجد صعوبة أكبر في القبض على العجيب المدهش في الأدب ، وفي استخلاصه منه لأنه فيما وراء متعة الرضى و الفضول وكل المشاعر التي توفرها لنا القصة العجيبة أو الحكايات الخرافية ، وفيما وراء الحاجة إلى التسلي و المتعة و النسيان و التوصيل إلى أحاسيس لذيذة و مرعبة ... فيما وراء ذلك فإن الهدف الحقيقي للرحلة العجيبة يمكن هنا – أي في الأدب – في ذلك الاستكشاف)([11]) . وكأنه يقول في هذه الصفحة و في الصفحات التي تليها أن الحكاية توصف بالعجيبة حين تكون شعبية غير فنية بسيطة تخلو من الهدف الذي يتوخاه الأدب الرسمي ، أما حين تنخرط الحكاية في التواصل السردي القصصي الفني ، تتحول الحكاية المروية من العجيب إلى العجائبي ، بمعنى آخر أن العجيب هو العوالم الخارقة غير الموظفة توظيفا أدبيا ، وحين توظف أو تخرج من هذا القيد تصبح عجائبية فنية ، وهو رأي هزيل لا قيمة علمية له ، ومن الغريب أن يتفق مع هذا الرأي والمفكر الاسلامي محمد أركون ([12]) . في حين يرفض الناقد الطاهر المناعي التمييز بين الغريب و العجيب ويذهب إلى أننا (عندما نتحدث عن العجيب ، نتحدث ضمنيا عن الغريب ، ونعتبر موقف التعجيب ناتجا عن غرابة أو حداثة غير مألوفة ، فعلاقة بين العجيب و الغريب علاقة سبب بنتيجة ، إذ الغريب مهما يكن شكله حسيا أو معنويا هو الباعث على رد الفعل و بقدر تتعاظم الغرابة يقوى التأثير و يتضاعف رد الفعل وينتقل السامع و القارئ من موقف المتعجب إلى موقف الروع ، ويحدد موقفه من الأحداث تبعا لأثرها في نفسه)([13]) . وهو رأي غريب حقا يخلط فيه الناقد بين مفهومي الغريب / العجيب في التراث العربي – الاسلامي و الغريب / العجيب في الموروث الغربي ، ويجعل الغريب أخص من العجيب و أعلى مرتبة منه ، وهو رأي لم يقله تودوروف ولا غيره ، كما أن الأمثلة التي يسوقها لا تسعفه في اثبات ما يريد . هذا من جهة ومن جهة ثانية هو يريد تفسير العجيب و الغريب عبر تحليل الحكاية العربية القديمة ، في حين أن تودوروف يحاول تقديم فهم جديد للعجيب و الغريب عبر تحليل الرواية الغربية الحديثة ، وما بين الاثنين بون نسقي شاسع ، فضلا عن أن الواجب عليه تبيان العجيب و الغريب من كتاب تودوروف نفسه بوصفه مرجعا فلسفيا ركن إلى النهل منه الفكر الغربي قبل العربي .

وعلى الرغم من ضعف رأي الدكتور حسين علام ،و اخفاقه في التمييز بين الغريب و العجيب ، فإن الدكتورة فوزية قفصي بغدادي استاذة النقد في جامعة عنابة تتبنى هذا الرأي ، و تقول : (ولا يمكن فصل العجيب و الغريب عن العجائبي ، لأنه يتراكب معهما ، بل يتولد عنهما مجالان فرعيان آخران يساهمان في تمديد زمن العجائبي هما : العجائبي الغريب و العجائبي العجيب ، أما العجائبي الغريب ففيه تجد الأحداث فوق الطبيعية تفسيرا منطقيا)([14]) . وهذا الخلط وعدم التمييز سببه أن الناقدة تتصور أن الفانتاستك و تقسيماته يتعلق بالماهية ، في حين أن العجائبي يتعلق بالبنية السردية ،

والثالثة : أهماله لتقسيم (العجائبي المحض و الغرائبي المحض) ولا أدري كيف غفل تودوروف عنهما ، والواقع هما وفقط هما من يمثل جنس العجائبي و الغرائبي . وربما أن تودوروف كان يرى أن كتابة هذا التقسيم يعد من النافلة ؛ إذ أن ضرورة هذا الكتاب تنبجس من هذا المراد ، والكتاب جله يدور حول هذه النكتة . ولكن مع ذلك لا يبرر هذا التصور اهمال الكتاب لهذا التقسيم المهم الذي غفل عنه تودوروف ومن كتب في الجنس العجائبي من العرب و العراقيين .

والنص العجائبي المحض في الكتاب يقسم على قسمين :

الأول : هو النص غير المفسر الذي يقاوم التأويل و العقلنة ويتصف بالبقاء و الاستمرار ، ويستند في استمراريته على النص الحقيقي الواقعي المعقلن ، إذ عبر التبادل و التتابع بين الخيالي و الواقعي و بين المنطق و اللامنطق أو بين الطبيعي والخارق يستمر الراوي / الشاهد بالسرد ، ويستمر المتلقي الضمني / القارئ بلعبة الاصغاء وغلق دائرة الحكي . وقد أشار تودوروف إلى هذا النوع من العجائبي الذي استند عليه في تأسيس جنس العجائبي ، فيقول في النص العجائبي :(... فهذا النص مؤلف من جزئين متساويين بشكل واضح ، ونهاية الجزء الأول تتركنا في حيرة بالغة إذ لا نعرف كيف نفسر الظواهر الغريبة التي تعرض ؛ بيد أننا لسنا مهيأين كذلك لقبول فوق الطبيعي مثل الطبيعي بسهولة إذا فالسارد يتردد بين مسلكين : أن يقطع قصة هنا (ويبقى في العجائبي) أو أن يستأنف (وبالتالي يغادره) أما بالنسبة إليه فإنه يعلن لسامعيه أنه يفضل التوقف .... مع ذلك سيكون من الخطأ الادعاء بأن العجائبي لا يمكنه أن يوجد سوى في جزء من الأثر . فهناك من النصوص ما يحافظ على الالتباس حتى النهاية)([15]) ، وهذا التوصيف في غاية الأهمية ؛ إذ يشير هنا تودوروف إلى العجائبي المحض الذي يستمر فيه التردد حتى النهاية ، ولا مجال فيه لعقلنة النص الكلي أو الخروج بتفسير منطقي ما ، كما أنه لا يقبل التأويل أو المقاربة مع الواقع ، لأن التردد لم يتوقف ، و الحيرة مستمرة حتى بعد استكمال قراءة النص .

و لا أدري كيف غفل الناقد شعيب الحلفي فلم يلتفت إلى هذه الفقرة المهمة في كتاب تودوروف ، ولا الطاهر وطار ولا الدكتورة فوزية بغدادي ولا غيرهم ممن بحث في عجائبية تودوروف وغرائبيته . ومن الملاحظ أن تودوروف لم يضرب مثلا لهذا النوع من العجائبي الذي يحتفظ بالتردد و الالتباس حتى النهاية ، ولم يخضع رواياته لهذا النوع من التحليل ، ولم يتتبع الأحداث التي سلكت هذا المسلك الفني في الرواية و السرد ، لذا سنقوم نحن بهذه المهمة ، فنضرب لذلك مثلا رواية من روايات الروائي العراقي وارد بدر السالم وهي رواية (شبيه الخنزير) ، وفي هذه الرواية يواجه القارئ الصدمة و التردد من عتبة العنوان أولا ، وتستمر الحيرة والمماطلة بين الحقيقي و الوهمي حتى نهاية الرواية ، ويتقلقل القارئ بين مصدق و مكذب عبر اللغة المخادعة التي تمارس مكرها وحيلها على المرسل إليه ، فهو ليس خنزيرا ، كما أنه ليس بشرا ، هو شبيه للخنزير فيأخذ من هنا و يأخذ من هناك ، هو بطل الرواية الذي يحتضنه مناخ الأهوار بكل أسراره ومجاهيله ، بكل قسوته ولينه ، في هذا المكان الاسطوري يولد البطل وينشأ ، ثم يتحول بين ليلة وضحاها إلى وحش مخيف ، يتوقف عنده الزمان ، وتنسكب أبعاد المخيلة ، ليختفي تحت عباءة الزمن سر التحول و أسبابه . رواية عجائبية لا تقبل التأويل ، وعصية على التفسير[16] . هذه هي التي وصفها تودوروف (فهناك من النصوص ما يحافظ على الالتباس أي التردد حتى النهاية)[17] ، هي عجائبية تتقصد النص كله وليس جزء منه .

ثانيا : الأثر الفانتاستيكي غير المفسر والذي يتناوب مع الأثر الحقيقي و الأثر العجائبي / الغرائبي المفسر . ونستطيع أن نقول أن الروايات التي نجد فيها جزء من الأثر الفانتاستيكي ، أو نحدد فيها حدثا عجائبيا هنا ، أو ملمحا غرائبيا هناك في ماكنة الروي السردي ، هي أكثر من أن تعد في الأعمال الروائية ، و أوسع من أن تحصى في القصص الانسانية ؛ لأن مساحة الاشتغال تنفتح على المغامرة وحب التغريب ، لذا نجد كل الروايات تقريبا تشتمل - فيما تشتمل عليه – على سر أو مغامرة أو فجوة مادية أو ذهنية ، وقد لا يأخذ هذا الأثر العجائبي / الغرائبي حيزا كبيرا ، وقد يأخذ ، وقد يكون نوعه اجتماعيا أو نفسيا وجماليا ، أو نوعا آخر ، ولكنه في كل الأحوال جزء من العمل الروائي و ليس كله . كما نجد ذلك في رواية (شظية في مكان حساس) للروائي العراقي نفسه الذي سبق أن ضربنا رواياته مثلا وهو الروائي الرائع وارد بدر السالم . والقصة تعد احتجاج على الحرب ، وصرخة بوجه القبح المتفشي في ظل الحقبة السابقة ، وشرح لداء من نوع آخر ، داء يأتي مع العنف المجتمعي ، والتفجير العشوائي لتستقر شظية صغيرة خفيت حتى على السونار الطبي ، لتستقر بين ساقي بطلة القصة وصاحبة المحنة ، تلك الزوجة الجميلة ، و الأم الأربعينية . لتتحول هذه الشظية التي بحجم رأس الدبوس و العالقة في بظر المرأة الشابة إلى ما يشبه العضو الذكري لتبدأ بإثارة الشهوة و الرغبة الجنسية مع كل حركة مقصودة أو غير مقصودة ، فتفقد خفرها و حياءها وسيطرتها على نفسها ، ويناضل زوجها كي يروي شبقها ، ويشبع رغبتها ، حتى قرف من التكرار و مل من الاعياء ، ليتحول الجنس من متعة ونعمة إلى عذاب ونقمة [18]. فيتردد القارئ بين الظن و اليقين حتى يأتي الحل و التفسير ، ليؤكد على رمزية هذا العمل الروائي الجرئ في ظل نفحات الحدث الغرائبي .

والحق أن الوهم الذي أصاب القارئ العربي – مختصا و هاو – يكمن في هذه المساحة الفكرية التي طرقها تودوروف في كتابه فقال : العجائبي (يحيا حياة مليئة بالمخاطر ، وهو معرض للتلاشي في كل لحظة ، ويظهر أنه ينهض في الحد بين نوعين هما العجيب و الغريب أكثر مما هو جنس مستقل بذاته) [19] ، فظنوا أن تدوروف يتكلم هنا عن جنس العجابي ، والحق أن الرجل يتكلم عن الأثر المتلاشي المنسجم مع السرد الروائي الخاضع للأجناس المتنوعة ، فالحدث العجائبي / الغرائبي هنا متناوب مع الواقعي العقلاني ، وهو يظهر بشكل مفاجئ في السرد ، ويختفي بمجرد زوال مسبباته . ومن الذين وقعوا في فخ المفهوم القاصر الباحث الجزائري علاوي الخامسة ، الذي وجد أن الجنس العجائبي وهمي لأنه (لا يستمر إلا المدة التي يستغرقها التردد : تردد مشترك بين القارئ و الشخصية اللذين يجب أن يبثا فيما يريان إن كان جزء من الواقع أم لا ؟ الواقع الذي يدركه الرأي العام ، وفي خاتمة الخبر إما أن يختار القارئ و إلا فإن الشخصية ستتخذ القرار و ستؤثر أحد الحلين ، وبذلك نغادر العجائبي) [20] . وهذا بطبيعة الحال وهم كبير ، وتسير على النهج نفسه الباحثة الدكتورة بهاء بن نوار في كتابها (الواقع والممكن ، دراسة عن العجائبية في الرواية العربية المعاصرة) فبعد أن تميز بين العجيب و الغريب ، تذهب إلى أن العجائبي هو (لحظة زئبقية منفلته)[21] و التوصيف يريد هنا السرعة و عدم الثبات ، وهذا بطبيعة الحال غير صحيح ولم يقل به تودوروف نفسه .

وهذا الخلط في العجائبي وزمنه لم يسلم منه حتى الطلبة الذين أشرفت عليهم في الماجستير و الدكتوراه.

والذي يظن من النقاد أن التردد يختص بالأثر العجائبي ، فهو على قدر كبير من الخطأ ذلك أن التردد ملازم للقراءة الفاعلة ، فالقارئ يبقى بين القبول و الرفض ، بين أن يصدق ما يقرأه أم ينكره ، بين أن يجد لذاك العمل الخيالي تفسيرا في الطبيعة أم هو خارق للقوانين الطبيعية . بل إن الأمر يتجاوز النصوص القصصية و المسرحية ليصل إلى القراءة النقدية نفسها فهي لا تخلو من التردد بين الرفض و القبول ، فالقراءة الثانية و الثالثة لا تخلو من انكار ورد على القراءات السابقة . ولذلك علينا توسيع مفهوم التردد لا تضييقه على العجائبي جنسا وحدثا فحسب أن نفهم أن التردد تابع للقراءة و القارئ وليس للنص وصاحبه .

الألغوري و الشعري

مصطلحا الألغوري والشعري من المصطلحات التي اهتم بهما تودوروف في كتابه هذا ، فأفرد لهما الفصل الرابع منه ، وعدهما من المخاطر التي تواجه العجائبي بوصفه جنسا أدبيا ، فلا يستقيم جنسا العجائبي

و الغرائبي مع رمزي الألغوري و الشعري [22]. ومع ذلك خالف هذا الشرط - الذي يعد بالمرتبة الثانية بعد التردد - الكثير من الباحثين و النقاد الذين لم يقرأوا كتاب تودوروف بشكل جيد ، أو نقلوا منه بالواسطة . وسنحاول في الوريقات القابلة أن نفصل في هذين المصطلحين و أثرهما في القص العجائبي .

1 - الألغوري

وهو الرمز الذي يمارس دورا مزدوجا في الكتابة و الروي ، فهو اسلوب في القول و الكتابة ، ومنهج في القراءة و التأويل . ولا يقف تحايل هذا المصطلح عند هذا الحد ، فهو يظهر بشكل دلالي سطحي ليوهم القارئ بدلالة ما ، ويمارس دورا باطنيا آخر يوحي و يضمر دلالة داخلية عميقة ، وربما هي المراد من الرمز المنقول .

والمصطلح قديم قدم الثقافة و الفكر الاغريقي ويعني الكلام بطريقة أخرى ، ويعد افلاطون من أوائل من وظفه في تفسير النصوص السردية الدينية ، ثم استعمل من بعده في تأويل الحكايات الأخلاقية لاسيما في عصر النهضة و انبثاق الحضارة الجديدة . ولعل ممارسته للدور الاستعاري ، وتحميل النص معنى آخر غير الذي تحمله الكلمات هو الذي مكنه من الاحتفاظ بمكانته الدينية – الاخلاقية كل هذه المدة من الزمن .

وما يهمنا من المصطلح هو كتاب تودوروف الذي أبعد الألغوري من ساحة اشتغاله ، مبررا ذلك بقوله : (بتعبير بسيط إن الأليغورة تقول شيئا وتعني به شيئا آخر)[23] . أي أن الألغورة في ضوء هذا التحديد تلغي التماهي بين القارئ و الشخصية ، وتقيد القراءة الساذجة التي يستند إليها العجائبي في اتمام السرد . ويعود تودوروف ليعزز رفضه للمصطلح فيقول : (إذا كان ما نقرأه يصف واقعة فوق طبيعية ، وكان يتعين مع ذلك فهم الكلمات لا بالمعنى الحرفي ولكن بمعنى آخر لا يحيل إلى أي شئ فوق طبيعي ، فإنه لم يعد يوجد ثمة مكان للعجائبي . وبالتالي فهناك وجود لتشكيلة من الأجناس الأدبية الفرعية بين العجائبي الذي ينتهي إلى هذا النمط من النصوص التي يجب أن تقرأ بالمعنى الحرفي وبين الألغورة الخالصة التي لا تحتفظ إلا بالمعنى الثاني)[24] . أي أن تودوروف يصرح : أن العجائبي يقصد لذاته و لا يتحمل التأويل أو المماطلة أو الرمز لشئ آخر مضمر غير المصرح به عبر اللغة المنطوقة / المكتوبة ، لأن الأليغورة مع النص الأدبي من الممكن أن يكون لها مكان متميز في كل الأجناس الأدبية إلا الجنس العجائبي الذي يرفض أن يحتفظ النص الخيالي الوهمي بمعنيين أحدهما سطحي - ظاهري و الآخر عميق - باطني ؛ لأن ذلك ببساطة سيلغي التردد و الحيرة التي هي قوام التصنيف العجائبي .

ونستطيع أن نظيف سببا آخر لإبعاد الأليغورة من النص العجائبي ، يتعلق بنسق الألغورة نفسها وآلية استعمالها في الفكر الغربي ؛ إذ استعمل هذا المصطلح لتأويل النصوص الدينية التي لا تقبل التردد و الشك في تصديقها أو عدم تصديقها ، لأن الشك فيها ينافى فكرة الإيمان و التبليغ الرسالي ، التي هي جوهر و لب الفلسفة الدينية ؛ بل أن افلاطون نفسه اشار إليها في شرح وتصديق نظرية المثال والطهر الانساني ، وهذا يعني أن عدم ابعاد مصطلح الأليغورة سيصطدم مع أهم مصطلح أسسه تودوروف لاثبات الفانتاستك والتمييز بين العجائبي و الغرائبي .

وفي ضوء هذا الفهم الجديد تكون قصص نبي الله (عيسى ع) ومعجزات (موسى ع) وخوارق سفينة نوح وسرديات أهل الكهف ونبوءات بني اسرائيل وغيرها من القصص الدينية التي وردت في التوراة و الانجيل والقرآن هي قصص حقيقية لا تنتمي إلى النص العجائبي أو الغرائبي لانتفاء مصطلح التردد الذي يعد الشرط الأول في قبول العجائبي وتقسيماته الأخرى .

ومن هذا المنطلق نحن نحاكم النقود العربية التي تدعي في مقدماتها و متونها الاستناد إلى نظرية تودوروف في تحديد وتوصيف الأدب العجائبي ، فنقوم ما اعوج عن النظرية التي هي تبنتها سلفا ، وتقييم ما تيسر من النتاج النقدي العربي . ففي كتاب (العجائبي في الأدب) ، يخلط الناقد د. حسين علام بين التمظهرات الدينية و الاسطورية و الشعبية ويضعها في بوتقة واحدة وينسبها جميعا لا إلى معمارية النظام السردي وإنما إلى مقبولية الشكل العجائبي من دون الألتفات إلى مصطلح الإليغورة التي تكلم عنها في المقدمة والتمهيد [25] والتي تمنع هذا الخلط ، وتستهجن هذا الفهم ، ونحن نتساءل كيف يمهد الناقد للنظرية ويخفق في

التطبيق؟، ومثل هذه الهفوة نجدها عند الدكتورة بهاء بن نوار في كتابها (الواقع و الممكن) ، وهي على الرغم من تبنيها لنظرية تودوروف إلا أنها تفرد مبحثا خاصا للعجائبي الديني [26] وتفصل العجائبي في ضوء الديانات الكبرى (اليهودية و المسيحية و الاسلامية) متخذة من التوراة و الانجيل و القرآن مصادر للسرد العجائبي التخييلي ، فتقول : (ويعتمد عرضنا على تأمل هذا الجانب الغيبي ، الذي تأسست من خلاله كثير من الخوارق ، والمعجزات ، حول الذات الإلهية ، ولوازمها ، وحول مصير الإنسان ، و مآله بعد مماته ، وما ينتظره من نعيم أو جحيم ، فضلا عن أقاصيص الأنبياء ، و القديسين ، وما يرتبط به حضورهم من عجائب تفرقهم عن البشر العاديين ، وترسم الحدود الفاصلة بين ما يرتبط به حضورهم من عجائب تفرقهم عن البشر العاديين ، وترسم الحدود الفاصلة بين ما هو إلهي / مقدس / لا زمني / أزلي / وما هو بشري / مدنس / فان)[27]. وفات الناقدة بن نوار أن السرد الديني له قوانينه و تشريعاته التي ينبجس منها الإيمان ، فتروى القصص وتسرد السرود ليتجلى المقدس في صورته المثلى ، التي لا ينسجم معها التردد و الحيرة ، ولا تتقبل شك المتلقي مهما مرق الحدث الخوارقي قاعدة النظم الطبيعية أو تجاوز المألوف من المنطق ، فكل ما ذكر في الكتاب من قصص للأنبياء و مآثرهم ، أو الأحداث و أهوالها التي حدثت في زمانهم لا يمكن عدها من العجائبي في ضوء نظرية تودوروف ، التي تنحي صبغة التعدد ، وتستند إلى مفهوم التردد . وترى الباحثة (جديدة خيرة) في اطروحتها (العجائبي في الرواية المغاربية المعاصرة) أن القصص القرآني يمثل القوة المركزية الفاعلة في الثقافة الاسلامية ، ومنها انبثقت الرؤية الدينية للوجود التي تمس وجدان كل مسلم وعقيدته الحصينة ، فلا سبيل لضمها إلى عجائبية تودوروف وقانونها المشروط ، بيد أننا نستطيع ضم (الاسرائيليات) ، وهي الأحاديث المنقولة من التوراة و الانجيل و الموضوعة بعد تغريبها في القرآن الكريم ومن ثم دراستها دراسة عجائبية [28] . والحق أن في هذا الطرح رأيا ناهضا ، يستحق النظر و المتابعة ، لأن الحرج في هذه الفقرة قد زال ، يساعده في ذلك أن الخطاب القرآني بصيغته المتعالية ، وبنسيجه الدلالي الذي لا يشبهه خطاب آخر ينفصل بسهولة عن الخطاب الدخيل ولغته المتهافتة . ولكننا نرفض هذا الرأي أيضا لأن الألغوري لا يشمل الخطاب الديني فحسب بل ينسحب على الخطاب الأخلاقي و تأويله الهادف ، الذي تتداخل به الآيدلوجيا ونسقها المراوغ .

2 – *الشعري*

وهو المقصي الثاني بعد الإليغورة من عالم الفانتاستك ، ذلك أن تودوروف حاول وضع حدود لجنس أدبي عصي على التحديد ، ووضع قوانين منطقية لنسق فكري يستند إلى اللامنطق في اثبات هويته ، ولا يثق إلا بمنطقه الخاص ، ويعود إلى مرجعيات تصبح أكثر صدقا في الانتساب حين تتنفس من الخرافة و اللامألوف ، وشق عصا طاعة العقل و العلم معا .

ويقصد تودوروف بالشعري الاستعارة ، التي تمارس – في الشعر - الدور الذي يلعبه الألغوري في النص النثري الديني . فهي تتفادى الاستعمال المبتذل ، وتجنح نحو محمول آخر ، معبرة بشكل صريح عن دلالات تختزنها اللغة و يفجرها التخييل . مما يعبد الطريق أمام قراءتين الأولى سطحية و الثانية عميقة ، وهذا ما يخالف نظرية تودوروف المبنية على القراءة الواحدة ، التي يدخلها التردد و الحيرة إلى عالم العجائبي.

وبسبب انتفاء التردد (حجر الزاوية في مفهوم الفانتاستك) للتضارب الفلسفي بينه و بين التشبيه النمطي الذي يتعدد عنده وصف الواقع بعدد مستويات الخطاب يخرج تودوروف (الشعري) من عالمه العجائبي .

ويبدو أن تودوروف وجد في ذلك مبررا لاعتماد كتابه (مدخل إلى الأدب العجائبي) على البناء الروائي ، واخراج الشعر بشكل مطلق من الكتاب و من الجنس العجائبي . فلا ينبغي للناقد الذي يبدأ بتعريف الفانتاستك من كتاب تودوروف أن يطبقه على الشعر قديما كان أم حديثا ، ولا يجدر بالباحث الذي يتقصى العجائبي أن يتلمسه في الشعر من دون حجة ظاهرة على هذه المخالفة الصريحة .

ولذلك نحن نعد كتاب (العجائبي في الشعر العربي القديم) للدكتورة آن تحسين أحمد الجلبي مخالفا لشروط الجنس العجائبي بشكل كامل ، فلا مجال لاستكناه الشكل العجائبي في الكتاب ، وتحديد تمظهراته لاستناده إلى

المتن الشعري في التحليل و الحكم ، فهي تسترشد بالنظرية البنائية وفضاءاتها الفلسفية ، وتخالفها في الوقت نفسه .

وفي أطروحة الباحثة علاوي الخامسة (العجائبية في أدب الرحلات رحلة ابن فضلان انموذجا)) لا تكترث الباحثة في الجمع بين السرد والشعر ، فتتلمس العجائبي في الأبيات الشعرية المنسوبة لابن المعتز :

ولازوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنهما فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت [29]

وتحاول عبر هذين البيتين استكشاف العجائبي عبر الشرح و التحليل ، وتسليط الضوء على الاستعارة بوصفها إزاحة مقصودة من جهة ، وتوسع في المعنى التخييلي من جهة ثانية (35) .

وتشاركها في هذه الدعوى الباحثة جديد خيرة في اطروحتها (العجائبي في الرواية المغربية المعاصرة) ، فترى العجائبي قديما في الشعر قدم الشعر الجاهلي [30]، وتستشهد بقصيدة الشاعر الجاهلي في معلقته :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم [31]

والحق أننا نرفض هذه الأبيات كما نرفض الأبيات السابقة لأن التهويل و المبالغة من مزايا الشعر عامة ، فلا يجد المتلقي فيها سبيلا للدهشة و الحيرة ، لأنه يعلم سلفا أنها من مبالغات الشعر الذي أعذبه أكذبه كما يقولون ، فضلا عن أن وظيفة الشعر تختلف تماما عن وظيفة السرد ، فالشاعر هنا لا يقدم علما ، كما أنه لا يعكس واقعا حقيقيا ويطلب من المتلقي تصديقه ، ذلك أن مهمة الشاعر الأدبية و الفنية مختلفة تماما عن هذا المضمار .

وهناك من النقاد من فطن إلى هذا الفتق ، فأراد رتقه عبر نسبة هذه الأشعار إلى الجن و العفاريت و الغيلان. بيد أننا نقول : أن ذلك لا يغير من المعادلة شيئا

الخاتمة

بعد هذه القراءة الفاحصة لكتاب تودوروف توصل البحث إلى عدد من النقاط المهمة نجملها بما يلي :

1 – يعد كتاب تودوروف (المدخل إلى الأدب العجائبي) واحدا من أهم الكتب المنظوية تحت مندوحة التنظير الأدبي و آفاق النقد الأكاديمي
2 – كشفت الدراسة أن الكتاب على أهميته لا يخلو من الغموض و الارباك و الضعف ، وقد أرجع الباحثان ذلك إما إلى الترجمة غير الناضجة أو إلى الكاتب نفسة .
3 – سببت الترجمة الخاطئة أو الغموض المقصود مبان فاسدة وقع في أغلبها الناقد العربي والمتذوق للفكر الانساني بشكل عام .
4 – استطاع البحث تفكيك المرجعيات البانية لنظرية تودوروف ونقدها
5 – أثبت البحث أن هناك أخطاء كثيرة وقع فيها تودوروف ولا مجال لحصرها في الخاتمة لذا على القارئ الرجوع إلى المتن و التثبت مقولاتها النقدية و آفاق الرد عليها .
6 – في تحديد مفهوم الفانتاستك فند البحث عددا كبيرا من الآراء المستندة إلى عدد كبير من النقاد و الباحثين العرب ، وقد أرجع الباحث هذا الخطأ أما الى التسرع في قراءة الرأي انقدي واستيعابه أو إلى الغموض و الارباك الذي مني به الكتاب .
7 – تحديد مفهومي الألغوري و الشعري من أكثر الأخطاء التي وقع بها الناقد العربي ، وقد سببت هذه الأخطاء ارباكا كبيرا في البحث و التأليف .

هوامش البحث:

[1]- مدخل إلى الأدب العجائبي – تزفيتان تودوروف – ترجمة الصديق بو علام – تقديم محمد برادة – مكتبة الأدب العربي – ط / 1 – دار الرباط – 1993 . 4

[2] - المصدر نفسه الصفحة نفسها .

[3]- نظرية الأجناس الأدبية – دراسات في التناص الكتابة و النقد – تودوروف – ترجمة عبد الرحمن بو علي – دار نينوى – ط / 1 – سوريا – 10 .
[4]- العجائبي في رواية الناووس – الباحثة م . م ازهار علي عاصي - مجلة جامعة ذي قار – مجلد 10 – العدد 4 – كامون الأول لسنة 2015 - . 33
[5] - المدخل إلى الأدب العجائبي . 18
[6]- عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات – زكريا القزويني – تحقيق فاروق سعد – دار الآفاق الجديدة – ط / بلا – بيروت – لبنان . 31
[7]- المدخل إلى الأدب العجائبي . 18
[8]- المصدر نفسه . 65
[9]- المدخل إلى الأدب العجائبي . 68
[10]- ينظر . مدخل إلى الأدب العجائبي . 73 ، 74
[11]- العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد – حسين علام – ط / 1 – منشورات الاختلاف – مطابع الدار العربية للعلوم – بيروت – لبنان – 2009 . 64 .
[12]- ينظر الفكر الاسلامي قراءة علمية – محمد أركون – ترجمة هاشم صالح – مركز الانماء القومي – بيروت – لبنان – 1987 . 189 .
[13]- العجيب و العجاب الحد و الوظيفة السردية – الطاهر المناعي – دار المغرب المغرب العربي – ط / 1 – 2009 . 134 .
[14]- العجائبي مفهومه و تجلياته في الموروث السردي العربي – أ.د فوزية قفصي بغدادي – مجلة كلية الأداب والعلوم الانسانية – جامعة عنابة . 438
[15]- مدخل إلى الأدب العجائبي . 67
[16]- رواية شبيه الخنزير – وارد بدر السالم – ط /3 – دار سطور – 2015 .
[17]- مدخل إلى الأدب العجائبي . 67
[18]- رواية شظية في مكان حساس – وارد بدر السالم – ط / 1 – دار سطور – 2020 .
[19]- مدخل إلى الأدب العجائبي . 65 .
[20]- العجائبية في أدب الرحلات – رحلة ابن فضلان انموذجا – الباحثة علاوي الخامسة – رسالة ماجستير – الجزائر – جامعة منتوري – قسنطينة – كلية اللغات و الاداب – 2005 . 42
[21]- الواقع و الممكن – دراسة عن العجائبية في الرواية العربية المعاصرة – بهاء بن نوار – ط / 1 – دار فضاءات للطبع و للنشر و التوزيع – عمان – الأردن – 2015 . 11
[22]- ينظر - مدخل إلى الأدب العجائبي . 83
[23]- مدخل إلى الأدب العجائبي – 87
[24]- المصدر نفسه . 89
[25]- ينظر . العجائبي في الأدب – من منظور شعرية السرد . 61 ، 62 .
[26]- ينظر . الواقع و الممكن – دراسة عن العجائبية في الرواية العربية المعاصرة . 53
[27]- المصدر نفسه . 55
[28]- ينظر . العجائبي في الرواية المغربية المعاصرة – روايات الميلودي شغوم انموذجا – جديدة خيرة – اطروحة دكتوراة – جامعة جيلالي ليابس – الجزائر – 2018 . 25
[29]- ديوان ابن المعتز – صنعه الصولي – تحقيق يونس السامرائي – ط / 1 – دار الشؤون الثقافية – بغداد . 134 .
[30]- ينظر . العجائبي في الرواية المغربية المعاصرة . 13

[31]- ديوان زهير بن أبي سلمى – الأعلم الشنتمري – تحقيق فخر الدين قباوة – ط / 2 – دار الآفاق الجديدة – بيروت . 57 .

المصادر و المراجع

1 **-** ديوان ابن المعتز – صنعه الصولي – تحقيق يونس السامرائي – ط / 1 – دار الشؤون الثقافية – بغداد.
[2] - ديوان زهير بن أبي سلمى – الأعلم الشنتمري – تحقيق فخر الدين قباوة – ط / 2 – دار الآفاق الجديدة – بيروت.
3 - رواية شبيه الخنزير – وارد بدر السالم – ط /3 – دار سطور – 2015 .
4 - رواية شظية في مكان حساس – وارد بدر السالم – ط / 1 – دار سطور – 2020.
5 عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات – زكريا القزويني – تحقيق فاروق سعد – دار الآفاق الجديدة – ط / بلا – بيروت – لبنان .
6 - العجائبي في رواية الناووس – الباحثة م . م ازهار علي عاصي - مجلة جامعة ذي قار – مجلد 10 – العدد 4 – كامون الأول لسنة 2015
7 - العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد – حسين علام – ط / 1 – منشورات الاختلاف – مطابع الدار العربية للعلوم – بيروت – لبنان – 2009 .
8 - العجائبية في أدب الرحلات – رحلة ابن فضلان انموذجا – الباحثة علاوي الخامسة – رسالة ماجستير – الجزائر – جامعة منتوري – قسنطينة – كلية اللغات و الآداب – 2005 .
9 – العجائبي في الرواية المغربية المعاصرة – جديدة خيرة – أطروحة دكتوراه – إشراف أ د عقاق قادة – الجمهورية الجزائرية – جامعة جيلاني اليابس – 2017 .
10 - العجائبي مفهومه و تجلياته في الموروث السردي العربي – أ.د فوزية قفصي بغدادي – مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة عنابة .
11 - العجيب و العجاب الحد و الوظيفة السردية – الطاهر المناعي – دار المغرب / المغرب العربي – ط / 1 – 2009 . .
12 - ينظر الفكر الاسلامي قراءة علمية – محمد أركون – ترجمة هاشم صالح – مركز الانماء القومي – بيروت – لبنان – 1987 .
13 - مدخل إلى الأدب العجائبي – تزفيتان تودوروف – ترجمة الصديق بو علام – تقديم محمد برادة – مكتبة الأدب العربي – ط / 1 – دار الرباط – 1993 .
[1]4 - نظرية الأجناس الأدبية – دراسات في التناص الكتابة و النقد – تودوروف – ترجمة عبد الرحمن بو علي – دار نينوى – ط / 1 – سوريا –.